سومر

مجلة علمية تبحث في آثار العراق وتاريخه

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
مديرية الآثار العامة
بغداد

الجزء الاول والثاني — ١٩٦٧ م — المجلد الثالث والعشرون

ثبت الجزء

الصفحة

أ	تقديم	الدكتور فيصل الوائلي
٣	اصنام العرب	الدكتور جواد علي
٤٧	المدائن في المصادر العربية	الدكتور صالح احمد العلي
٦٧	التأثيرات الفنية الاسلامية العربية على الفنون الاوربية	الدكتور أحمد فكري
٩٥	من أدب العراق القديم	الدكتور فيصل الوائلي
١٠١	آلهة فوق الارض (دراسة مقارنة)	الدكتور تقي الدباغ
١٣٥	نينوى في ضوء التنقيبات الاثرية	الدكتور طارق مظلوم
١٤١	الآثار الجديدة التي حازها المتحف العراقي	الدكتور فرج بصمه جي
١٤٥	دراسة بعض التحف المعدنية الاسلامية في المتحف العراقي	الدكتور عبدالعزيز حميد
١٥١	خط المصحف الشريف	عباس العزاوي
١٥٧	أوبس .. أين تقع ؟	فؤاد جميل
١٧٧	الاسم القديم لتل الضباعي	الدكتور فوزي رشيد
١٨٣	الصيانة الاثرية في قصر العاشق	ربيع القيسي
١٩١	دراسة تحليلية لثلاث مسكوكات ذهب نادرة في المتحف العراقي	الدكتور محمد باقر الحسيني
٢٠١	الدرهم العباسي في زمن الخليفتين الامين والمأمون	وداد القزاز
٢١٥	دراسة تحليلية للعملة الاسلامية في العهد الايلخاني	مهاب درويش البكري
٢٢٣	دراسة جديدة لكتابات الموصل الاثرية	يوسف ذنون
٢٣٩	تطور الحضارة	سعدي الرويشدي

الانباء والمراسلات

منجزات وفعاليات مديرية الآثار العامة في العراق
نبذ اخبارية وأنباء أخرى .

تطوّر الحضارة

بقلم : سعدي فيضي الرويشدي
باحث علمي

ان علماء الاجتماع والتطور وكذلك علماء الانثروبولوجي قـــد اسهموا جميعـا بآرائهـم ونظرياتهم التحليلية ونظراتهم العميقة في مفهـوم الحضارة وكيف سارت في طريقها تدريجيا وكيف ان هناك عوامل معينة هي التي أثرت في مجتمع ما وخلقت فيه حضارة متكيفة من ظروفه الموضوعة المحيطة به والتي ادت به اخيرا للوصول الى عهد ازدهار وعهد مدنية.

واني قد اعتمدت في اخراج مقالتي هذه على آراء متعددة لعلماء من ذوي الاختصاص في تحليل الحضارة وقد جاءت نظرياتهم وهي ذات صيغـة انتقادية لبعض الاختصاصين الذيـن شذوا عـن المفهوم الصحيح لتطور الحضارة في اعطاء المفاهيم السليمة والدقيقة لمعيار التطور الحضاري معتمدين في ذلك على اسباب وبراهين معقولة .

ان اسلي وايت الذي كتب في علم الحضارة قد اعتبر كل حادثة تاريخية فريدة في مـــكان وقوعها وان التاريخ هو ذلك الطريق الذي عولجت فيه الحوادث والعلاقة الاساسية فيما بين الحوادث هي ما اطلق عليها (التشكيل او الاصل الزمني Temporal - Formal) . لهذا فان هذه الحوادث تعتبر في حد ذاتها متعلقة الواحدة بالاخرى وهو مادعاه(فترة المجال الزمني Space-Time interval) .

ان التشكيل الزمني هذا قد اعتبر كعمليـــة تطورية وان هذه العملية موروثة في كل التجارب وهكذا اصبح لدينا تطور بايولوجي وتطور حضاري واخيرا يعـرف وايت التطور بالتعـــاقب الزمني للاشكال Temporal - alteration of forms. .

وقد استنتج ذلك لكون ان العملية التطورية ذات خاصية زمنية ولهذا وجـدنا كيـــف ان آلزواحف قد اصبحت لبائن مرة واحدة فقط . ولهذا السبب انحدرت الحضارة من جيل لاخر.

هذه الخطوة للتطور التي نقلت اجـــدادنا الانثروبويد Anthropoid الى اناس يطلق عليهـا (الـــرمز Symbol) ولهذا فان كل سـلوك الجنس البشرى قد تأصل باستعمال الرمز لاجل

هذا فالرمز هو الوحدة الاساسية لجميع سلوك الجنس البشري • وهكذا فان جميع الحضارات قد تقدمت بواسطة وسيلة استعمال الرموز• واكثر من هذا فان جميع الحضارات تعتمد على الرمز وبدونه لاتوجد هناك حضارة • ولهذا السبب ان لم تكن هناك حضارة لكان الانسان ليس الاحيوانا فقط لكننا نجد ان التطور البايولوجي قد ظهر في الانسان وان قدرة هذا الانسان تجلت في استعماله ما سمّيناه الرموز والاكثر أهمية في استعمال الرمز هي القدرة على النطق التي بواسطتها استطاع الانسان ان يتبادل الافكار وان هذا التبادل يعني الحفظ ، والحفظ يعني التراكم وهذا ادى الى التقدم •

اما الاستاذ (لوى R. H. Lowie) فقد اقترح ان السبب في نقص الحضارة بين القرود .Apes يقع في عدم قدرتها على نقل اداة معرفتها وتجاربها الى واحد لاخر بواسطة التقليد • ان هذاالنقص لمادة الحضارة يرجع الى نقص الدماغ او كما جاء في قول (هوتن .Hooton) يعود الى نقص الذكاء • ولكن حتى نقص الدماغ بين القرود فان قدرة الانسان على الاختراع تعتبر ذات شأن عظيم ، هذه القدرة ترجع الى التعلم التدريجي بواسطة الملاحظة والتجربة ولهذا لا يمكن لحضارة ما ان تتقدم بدون استمرارية على التجربة وهذا ما صرح به الاستاذ گروفز E.R. Groves حيث قال « الحضارة هي نتاج تعاون الجنس البشري » •

وكذلك نجدان دوروثي گاري Dorothy P. Gary في مقالتها (الدراسة التطورية للحضارة) قد صرحت انالحضارة نفسها عبارة عن عملية اجتماعية تنمو وتحتوى مجموعة السلوك للجنس البشري •

ان العلماء المحققين عن الحضارة هم انفسهم قد اصطدموا بتلك الواقعية التي اتسمت بها الحضارة نفسها ، وقد تساءلوا كثيرا ان كانت الحضارات في الحقيقة موجودة ام لا ، ولهذا فان هيرزكوفتس (.Herskovits) قد اعتبر الحضارة شيئا غير ملموس ، ومع هذا فانه يعطي لنماذج الحضارة حقيقة ثابته •

وفي الواقع اذا لم تكن الحضارة موجودة فعلا فان ذلك يعني عدم وجود مفهوم لعلم الحضارة وقد وضحنا سابقا كيف ان الرمز يعتبر الوحدة الاساسية لجميع سلوكالجنس البشري، أما بالنسبة للاختلاف الحاصل لسلوك الجنس البشري ، فان ذلك قد اخذ بنظر الاعتبار ولهذا اعتبر الانسان شيئا ثابتا بينما الحضارة نفسها فقابله للتغير •

لقد ذكرنا ايضا كيف ان الحضارة قد انتقلت بكل سهولة من جنس بشري لاخر وذلك لان جميع عناصرها قد نقلت بشكل تام ، ولهذا السبب اصبحت الحضارة شيئا مستمرا ، مرت خلال العصور من جيل لاخر ، ولكن ظهرت اثناء ذلك عناصر جديدة ، لذا فان عملية الحضارة تعتبر عملية تقدمية تسير باتجاه السيطرة العظيمة التي تجلب الامن والاستقرار الى الجنس البشري•

الحضارة اذن ذات عملية رمزية استمرارية، وتقدمية • واكثر من هذا ، فان اى تنظيم لحالات

ذات مدلولات تعود بالنفـــع للجنس البشـــري كالادوات ، الافكار ، والمعتقدات والعـــادات هي التي تعطي المعنى لما نسميه بالحضارة •

وقد قـــرر رالـــف لنتون Ralph Linton. (يقع الفرد عند اساس جميع الظواهر الاجتماعية والحضارية ، والمجتمعات عبارة عن جمـــاعات منظمة من الافراد ، وان الحضارات لا تتعدى عن أن تكون اجابت منتظمة لاعضاء المجتمع) ويضيف أيضا (ان الفرد هو المسؤول لجميع ما يضـــاف للحضارة) •

بعد هذا التحليل الذى قدمه لنتون • نجد ان هالويل قد اتفق بانه لا يوجد تأثير حضـــاري غير واقعي ولهذا يقول (ان الافراد هم الذيـن يستجيب احدهم للاخر وهم الذين يؤثر احدهم في الاخر كذلك) •

من هذا الاستعراض نستنتج انه بدون الجنس البشري لن توجـــد حضارة • ان الحضـــارة هي الميكانيكية المتقنة وظيفتها جعل الحياة مؤمنـــة ومستقرة للجنس البشري ، وهي تنمو في جميع حالاتها سواء اكانت ايديولوجيا ، اجتماعيا ومهنياء فالحضارة نظام ديناميكي ذات قابلية للنمو ، وهذا النمو يظهر من جراء تفاعل عوامل متعددة جديدة كاستعمال المعادن والعجلات ، واتخاذ المعتقداتفي حياة البشر الخ •• هذه العوامل الجديدة هيالتي تدخل التقليد الحضاري في مراحل معينة للتطور والسير بالحضارة نحو التقدم ، اذ لا يمكن ان نجد في الحضارات التي حافظت على توازن ثابت مستقر أي تقدم أو حتى اي عامـــل من عوامل الاصلاحوالتغير • وهذا مايلاحظ في العديد من الشعوب البدائية ، والسبب في ذلك لان تلـــك الشعوب ترغبفي ان تستمر حياتها بشكل ثابت لا يعكّر وهذا هو سبب قناعتها ببقاء القديم على قدمه دون اصلاح او تجديد •

وكما ذكرنا سابقا ان السلوك هو وظيفـــة الحضارة الرئيسى ، وان أى اختـــلاف في نوع السلوك فيما بين البشر يعتبر الســـبب القوي في حدوث الاختلافات والتغايرات ألحضـــارية • فحينما نطلق على ألحضارة بالتقدم فان هذا يعني انها وصلت الى حد تمثل بالاختراع او الاكتشاف وبوجود هذه النواحي في اية حضارة يصبح من العسير الابتعاد وتجنب عوامل تقدم الحضارة• وهكذا نجد انه ضمنأى نظام او ترتيبحضاري يمكننا ان نميز بين العديد من التنظيمات الفرعية التي يطلق عليها النموذج • وان هذا النموذج ، ليس الا تحشد لعوامل أو ميزاتحضاريةمنظمة•

ولاجل هذا فان اى اختراع او اكتشـــاف سيتزايد وينمو بمضى الوقت وستحدث عليـــه تطورات تؤدي الى تقدمه كلما عولجت العناصر المقومة للتقدم • يقودنا هذا التحقيق الى عامل مهم الا وهو عامل القابلية العقلية للانسان ، حيث ان هذه القابلية التي تميزت عند الجنس البشري فقط بالتقدم المستمر في جميع العصور وهذا يعني ان التقدم الحضاري لابد ان يسير بل انه ساربالفعل بخطى ثابته نحو الامام •

لو اخـذنا بنظـــر الاعتبار الاختـــراعات والاكتشافات التي ظهرت في الماضى وعند بزوغ المدنية في العصور السحيقة في القـــدم لرأيناها هائلة في عددها حيث ظهرت فيها طرق التعدين

ومناحي الاداب ، فتلك كانت اسس المدنية التي بزغت منها اشعاعات الاعمال الميكانيكية ، كالزراعة وتدجين الحيوانات ، استعمال الفخار ، ظهور العجلة والفنون التمدينية الاخرى •

ادى هذا التقدم في الحضارة الى ان تصبح المجتمعات اكثر تعقيدا بل واكثر اختلافا وهذا ما ايدته النتائج الاثارية التي يمكن اقتفاء اثرها في بلاد ما بين النهرين ومصر •

وبما ان العوامل السابقة أدت الى تعقد المجتمعات لذا فان تطور كل مجتمع يتميز بمرحلتين هامتين هما :

١ ــ مجتمع بدائي ٢ ــ مجتمع متمدن •

ان الصفة المميزة للمجتمع البدائي هي القبيلة والعشيرة التي تستند او تعتمد على روابط النسب بينما الصفة المميزة للمجتمع المتمدن هي الحالة السياسية المستندة على علاقة الملكية • ولهذا فان الانتقال من المجتمع البدائي الى المجتمع المتمدن قد حصل بواسطة عامل ألتقدم التكنولوجي او بواسطة تقدم فن الزراعة وتدجين الحيوان • ولاجل ذلك فان الحضارة تصنع نفسها وتجعل الانسان يعرف نفسه وما هو ، وان الاسلوب الفني هو الاساس الذي يعتمد عليه في تقييم ذلك ، حيث ان كلا من الجنس البشري والحضارة يعتمدان عليه بينما الاسلوب الاجتماعي يعتبر شيئاً ثانويا بالنسبة للاسلوب الفني ، فالاسلوب الفني اذن هو المحدد لاسلوب الحضارة ككل ، لذا فان وظيفة الحضارة تقع على مدى النشاط البشري الذي يعتبر ضروريا والذي يجب ان يوجه ويتمكن من السيطرة عليه• ان المصدر الاول للنشاط الذي استخدم في الاسلوب الحضاري القديم هو فعالية الجنس البشري نفسه • أما فنون الزراعة والري فقد خدمت كثيرا الفعاليات التي قام بها الجنس البشري •

هذا وان تدجين الحيوان قد لعب دوره في زيادة المصادر الفعالة لتقدم الحضارة •

وبعد تدجين الحيوانات ومعرفة الزراعة بالاف السنين ، كان الانتقال واضحا بظهور مدنية بلاد مابين النهرين ومصر ، والهند والصين • وكذلك ظهور المدنية في العالم الجديد في مكسيكو ووسط اميركاوالاندين • وبوجود المدنية الجديدة ظهر هناك تقدم محسوس وسريع لا سيما في السيراميك ، النسيج والتعدين ، وكل ذلك يعود بالدرجة الاولى الى التطور في فنون الزراعة والري ، وقد ادى تطور فنون الزراعة الى التنظيمات الاقتصادية انذاك •

وهكذا دُرَستْ نظريات التطور من قبل العلماء وادعوا في افتراضاتهم بان مدنية ميسو أميريكا (أمريكا الوسطى Mesoamerica) بيرو ، الشرق الادنى ، والصين قد تطورت في آن واحد وفي خلال نفس الازمان • وقارن العلماء كذلك فيما بين ما يسمى بتعدد الابعاد Multilinear واتحاد الابعاد Unilinear واستنتجوا بانهما متشابهان في مدى الاختلاف نسبة الى التقارب ألتأريخي • وادعوا كذلك أن تطورهما يهدف الى غرض عام لا الى غرض خاص وهما يهتمان بمدى علاقة ألضبط الحضاري بحدود معينة وليس لكل تطور حضاري • ومن ثم ناقش العلماء كيف ان

المجتمعات الاولى التي استعملت طرق الري قد بدأت بحضارة متوازية • وهذا حدث لاول مرة عندما دجن الانسان القديم النباتات واعقبتهـــا حالات حضارية اخرى ادت الى تطور المجتمعات انـــذاك كاستخدام الفنـــون التكنولوجيـــة واساليب السياسة الخ •• التي سارت عليها تلك المجتمعات الاولى باشكال متماثلة •

ان وجود التشابه والاختـــلاف في عوامل التطور الحضاري فيما بين العالم القديم والجديد لما يعزف بمناطق الري هو الذي أدى الى ظهور دراسات مقارنة عكف عليها المختصون في هـــذا الحقل •

ويمكن القول بان مراكز المدنية القديمـــة كانت قاحلة في البداية ، وكان من الممكن جـــدا استخدام الزراعة بشكل واسع فيمـــا اذا تمت السيطرة على وسائل الري ، ولهذا فان الزيادة في السكان حدثت بشكل مراحل الى ان وصلت الى الحد الاقصى في العصر المزدهر بكل نواحي الحياة لا سيما بعد ابتداع مقومات حضارية جـــديدة واعني بذلك الكتابة ، وظهور العقائد الدينيـــة • وباستمرار الزيادة التي حصلت في السكان ، فقد ظهرت تنظيمات اجتمـــاعية اخـــرى نتجت عن التعقد الحضاري وظهـــرت الروح العسكريـــة فيما بين الدويلات انذاك وسمي العصر الجـــديد بعصر الروح العسكرية او عصر الفتوحات •

ان التعقيد الحضاري الذي خلق خلال العصور ادى بعلماء الاجتماع الى تقسيم المجتمعـــات الى ثلاثة انواع هي : ـ١ـ المجتمع الذي يعتمد عـــلى الري بالدرجة الاولى ٢ ـ المجتمع المتحضر ٣ ـ الدويلة، وبتحليل العوامل الثلاثة وجدوا ان عامل التخصص في العمل وكيفية تنظيم اقتصاد المجتمع وكذلك السيطرة على وسائل الري فيما اذا اجتمعت في أي مجتمع لابد من ان تكون لذلك المجتمع (مدنية متحضرة) • وكمثل على هذا فان مدنية امريكا الوســطى (ميسو اميركا .Mesoamerica) قد تطورت بواسطة تخصصها في العمل وتجارتها الواسعة وانتاجها الغـــزير ، وهي من المراكـــز الدينية لعدم ظهور الروح العسكرية فيها التي لم تكن قد خلقت انذاك ، بينما نجد ان مدنية الانديين Andean قد اعتمدت على الري الى اقصـى حد • وكذلك ظهرت فيها الروح العسكرية وهكذا اطلق على عصر ميسو ـ أميركا الزاهر (مركز التجارة الدينية) بينما المناطق الاخرى فاطلق عليها (مركز ألري الديني او مركـــز الروح العســـكرية الدينـــة) •

وبعد تحليل العوامل المؤثـــرة في المراكـــز الحضارية المختلفة التي ذكرت انفا ، درس العلماء (نماذج الاستيطان) التي كشف عنها بواسطة علماء الآثار في اجتماعهم السنوي لعام ١٩٥٤ من قبل الجمعية الانثروبولوجية الامريكيـــة ، ومن خلال تلك الدراسات تم الوصول الى تقســـيم المستوطنات على مدى اهميتهـــا والتي لا بد من وجود حالات متماثلة فيها كالتخصص في الانتـاج والتجارة ، والعوامل الدينيـــة ، ومـــدى القوة العسكرية وبالتالي التركيب الاجتماعي •

ان الدليل الواضح عن طبيعـة الحكم الالهي للمجتمع قد جاء بواســـطة التغلغـــل العميق في النواحي الدينية وتمثيلها بالرمـوز ، أما اذا تميز

المجتمع بالروح العسكرية فهذا يعني انه يعتمد بصورة كلية على مدى التحصينات التي يتخذها كاعتماده على استخدام الاسلحة وتسوير المدن •

وهكذا نجد ان انعدام الري في المجتمعات يعني وجود عوامل اخرى تلعب دورا كبيرا في نموه كالسيطرة المركزية في الحكم ، مهارة الانتاج ، التجارة واخيرا الشعائر الدينية •

واذا درسنا بلاد ما بين النهرين Mesopotamia نجد ان آدامز قد استنتج « ان تطور القسم الجنوبي الغربي يختلف تمام الاختلاف عن تطور الاراضي المرتفعة الشمالية »•

ان زراعة الارض في العهود الاولى كانت تعتمد بالدرجة الاولى على سقوط الامطار وهذا ما حدث في كثير من الحضارات القديمة ولا سيما تلك التي ظهرت في الشرق الادنى ، وسط أميركا ، شمال الصين وكلها قد اطلق عليها بريدوود الروابي الجبلية Hilly - flanks حيث ان سقوط المطر كان كافيا لسقي الحقول • بينما نجد في مناطق اخرى لم يعتمد على وسائل الري في الزراعة كما حدث في مصر وبيرو الساحلية • ولهذ السبب لم تدخل مصر وبيرو ضمن المناطق الرئيسة التي اعتبرت المفتاح لتقدم الحضارة • وعلى ذلك فقد اتصفت الزراعة البدائية بالاعتماد الكلي على سقوط الامطار ولهذا قال وتفوكل Wittfogel « ان الدراسة المقارنة للتطور توجب التمييز في امكانية وجود اصل واحد او عدة اصول لذلك التطور وكذلك فان امكانية الطرق المتعددة الاصول للتطور تتبع كلا النوعين للاصل •

اما ادامز فقد صنف الفترة التكوينية للحضارة وكذلك الفترة المزدهرة ، وقد وضح ذلك بانه ليس من الضروري لازدهار الحضارة الاعتماد على عامل كثافة السكان ، وهذا ما نراه في الشرق الادنى ، بينما نرى العكس في أميركا حيث ان كثافة السكان تشير الى مدى التطور •

ان الوصول الى العصر المزدهر تسبب بواسطة عوامل متعددة استمرت بالظهور منذ بداية العصر التكويني والذي ازداد خلاله الانتاج وزادت قوة المجتمع وكذلك سيطرة رجال الدين ، ولهذا فان عصر الازدهار يعني عصر استعمال الوسائل الكافية لطرق الري وهذا مايختلف تماما عن عصر القوة العسكرية •

ان الحقائق الاساسية لعصر الازدهار في وسط أميركا هي : —

ازدياد انتاج القوت بدون استخدام طرق الري ، وقد تكونت كثافة واسعة من السكان حول المراكز الدينية وكذلك ظهرت فنون التخصص في العمل فسميت بـ (سكان الزراعة) ، ولهذا اقترح بالسيرم Palerm «ان الزراعة التي تعتمد على سقوط الامطار من الممكن ان يصبح انتاجها اكثر من ذلك لان عدد المحاصيل قد ارتفع بينما النوع اصبح معتمدا على الظروف المحلية • ومع ذلك فان تمركز السكان في وسط أميركا وبيرو قد ادى الى حدوث دويلات شبه منعزلة بينما نجد العكس في بلاد ما بين النهرين ، وهكذا نجد ان مركز الحضارة الذى يتبع طرق الري وطرق التجارة التي تتخذ الصفه الدينية ان تأثيراتهما متشابهة ولكن عوامل التطور فيهما تكون مختلفة•

ان التطور المثالي للري في بلاد ما بين النهرين قد حصل فقط في القسم المنخفض الغريني الجنوبي وكما أشير الى ذلك في تقرير ادامز حيث قال « في الحقيقة ، ان الزراعة في بلاد ما بين النهرين لابد وان اعتمدت بالدرجة الاولى على مياه الانهار التي لم تتبع في وسط اميركا او بيرو ، فعلى الجداول والانهار كان اعتماد الرى » •

اذا قارنا بين وسط اميركا .Mesoamerica وبلاد ما بين النهرين .Mesopotamia نجد ان القاطنين في جنوب بلاد ما بين النهرين قد تعرفوا على مختلف انواع النباتات بدون اى اصل تطوري ولكنهم استطاعوا تطوير اساليب الري بمساعدة عدد من العوامل المهمة •

ان ادامز ينكر بانه كانت هناك دويلات مدن في بلاد ما بين النهرين خلال العصر التكويني ، ولهذا نجده يضع عصر العبيد ضمن العصر التكويني، وان المجتمعات قد شرعت باستعمال طرق الري خلال عصر العبيد •

ان الري كان يعتبر السبب الرئيس الذي بواسطته اصبح من الممكن السيطرة والحفاظ على المجتمعات وخاصة في جنوب بلاد ما بين النهرين وبيرو وشمال الصين ، وبخلاف ذلك فان التجارة وعوامل التخصص في الانتاج في وسط اميركا الى الابتعاد عن استعمال طرق الري مما ادى الى ظهور الروح العسكرية في جميع الولايات ولهذا السبب اصبحت الدولة العسكرية مختلفة عن الدولة التي تستفيد كثيرا من وسائل الري •

ومع كل هذه الاسباب استطاعت وسط اميركا ان تصل الى درجة من التطور مماثلة لما وصلته دويلة الري كما هو معروف في كثير من المراكز التي سبق ذكرها •

ان ماواجهه العلماء من مشاكل جعل تحقيقاتهم تنصب بالدرجة الاولى على دراسة مجتمعات الري ، الدويلات ومراكز التمدن في العالم •

ولكي نوضح ذلك فانه يجب القول بانه من الصعب التميز بين انواع مختلفة من الدويلات على اساس صفات خاصة متماثلة • ولهذا فان وتفوكل يعطي الصفة المحددة للدويلة الشرقية بما يسميه بـ (حكومة) لان هذه الحكومة استطاعت ان تدير شؤونها بواسطة موظفين مدنيين وعسكريين واستطاعت كذلك ان تسيطر على موارد المياه ايضا • وبعد ذلك توسعت الدويلة وامتدت سلطتها لتشمل النواحي الدينية والعسكرية في آن واحد ، وهذا ادى الى ان المقاطعات تطورت ايضا واصبح من الضروري السيطرة على الملكية •

أما في بلاد ما بين النهرين فقد صرح آدامز: « في هذا الوقت ربما بدأت الحرب لاول مرة وهذه تتطلب خدمات الاختصاصيين الذين ساهموا في قياداتهم السياسية وهذا ما ظهر فعلا في الوثائق الاركيولوجية ، فالدليل على ذلك هو ما خلفته تلك الحروب من آثار على المجتمعات ، ولكن لم تظهر هناك فتوحات الا في عصور السلالات الاولى » • ولهذا السبب أدخل آدامز عصور فجر السلالات ضمن خارطة التطور وهي تقع بين الادوار السابقة وأدوار الفتوحات التاريخية•

ان بلاد ما بين النهرين ربما عرفت على انها من أقدم المراكز التطورية التى دلت على نوع حضاري جديد في جميع مجتمعات الري •

لقد أشار كولير .Collier بأن التمدن لم يظهر حتى العصر الذي توسعت فيه الروح العسكرية والسياسية وبصورة عامة في بلاد ما بين النهرين وبيرو ، وبخلاف ذلك فانه ظهر بشكل واضح في مرحلة الازدهار في الصين .

اما وتفوكل فأشار : « بان التمدن قد اقترن بالتوسع السياسي في خلال المرحلة العسكرية التي ظهرت في وسط أميركا ولكنه من المحتمل انه بدأ في عصر الازدهار الحضاري » .

من كل هذا نجد أن هناك مشاكل عديدة تختص بتطور مجتمعات الرى والمجتمعات العسكرية ، ولكن يجب أن لا يغرب عن البال بأن هناك عوامل متعددة يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار لتطور المجتمعات وهى : الرى، التجارة، التخصص في العمل ، الملكية والتمدن . وبالاضافة الى هذه العوامل فان هناك مشاكل اخرى قد درست وتوقشت من قبل العلماء وخاصة وتفوكل ، وهذه المشاكل لا تشمل فقط أنواع طرق الرى بل مؤثرات اخرى مثل كثافة السكان والتعقيد ، وان هذه المؤثرات تختلف في طبيعة وجودها سواء أظهرت في مراكز أصلية أم في مراكز بعيدة . ويستمر وتفوكل بقوله : « اننا فشلنا في تمييز أنواع الحروب وضرورانها الوظيفية في تطور مجتمعات الري ذلك لان الحروب يبدو انها تساعد لحد ما فعاليات المجتمع ، ولهذا فان وظيفة الحروب أصبحت عاملا في نمو الدولة وهذا ما حصل بالفعل في بيرو قبل أن تؤدى عوامل طرق الرى أدوارها . وأكثر من هذا ، فان الدولة العسكرية يبدو فيها الكشف النهائي فيما اذا كانت الحرب قد بزغت من عوامل ومؤثرات داخلية أو خارجية» .

أما بيلز Beals فيضيف بقوله : « يقترن الري ـ اذا كان على نطاق واسع ـ بكثافة سكان عالية » .

انه لواضح بأن هناك علاقة بين تمويل الطعام والسكان ، وان الزيادة في تمويل الطعام يسمح ويؤدي الى نمو السكان ، وهذا بدوره يؤدي بالطبع الى تحسين حالة الزراعة . هذا وان الزراعة قد تطورت خلال المراحل التالية :

١ ـ الزراعة البدائية : وهذا النوع من الزراعة قد اعتمد الى حد ما على سقوط المطر ، وان كل مستوطن محلي صغير كان مستقلا في زراعته .

٢ ـ ثم بدأ الشروع باستعمال الري بعمل سداد صغيرة وكذلك عمل الخنادق ، كل هذا بالاضافة الى الاعتماد على سقوط المطر أيضا ، وان السداد والخنادق هذه شيدت على التوابع العليا للانهر الرئيسة .

٣ ـ كما وجد أن الارض الاكثر جدبا والمساحات المنخفضة التي بالقرب من الجداول الرئيسة ، هي التي اعتبرت على انها المساحات المهمة للسقي واستعمال طرق الري فيها ، والتي عندها انشأت السداد الكبيرة والقنوات .

٤ ـ التحديدات في استعمال طرق الري تؤدي بالسكان الى التنقل ومغادرة المقاطعة وذلك بسبب عدم وجود القنوات التى تعتبر كوسائل مواصلات فيما بين المقاطعات . ان هذه الوظائف كانت قد تطورت بشكل كبير في بلاد ما بين

النهرين والصين •

وأخـــيرا يجب التساؤل فيمـــا اذا كانت المحاصيل وأنواعها بالاهمية الكبرى بحيث تؤثر في تحديد شكل حضارة أي مجتمع ومعرفة الطرق التي يستعملها ذلك المجتمع في زراعته ، وهـذا يعني تلك المنـاطق التي تستخدم فيهـا وسـائل الري •

ان المدلولات التاريخية التـي ظهرت حتـى الان حول استخدام طـرق الري تعتبر أكثـر أهمية من المحاصيل نفسها ، وذلك لان طريقـة استخدام الري وكذلك السيطرة عليه هي التي تؤدى الى الزيادة في الانتاج فيما اذا عرف كيف يمكن استخدامها بالوجه الدقيق ، ثم ان هنـاك نباتات مختلفـة يمكن تكييفها بالنسـبة لظروف وسـائل الـري أو الـسـقي ، اذ ان التكيف البايولوجي للنبات يعتبر شيئا كبـيرا •

ويزيد بيلز على ذلك مرة اخرى : « هـل ان المستوطن ذا الكثافة العالية في السكان والمقترن بصفات غير متغيرة يمكن اعتباره كمدينة كبيرة ، وهـل ان المستوطن الصغير المقترن بصفـات ووظائف متعـددة وكبيرة الاختلاف يمكـن اعتباره مستوطنا متمدنا ؟ »

أما جوليان ستيوارت Julian Stewart فيقول : « ان علماء التطور وكذلك العلماء القائلين بفكـرة انتشـار المميزات الحضارية مثـل مورغان Morgan وتيلـر Tylor الذيـن يمثلون القرن التاسع عشر قد فشلوا تماما فـي تمييز نماذج وعمليات التغير الضرورية ، وفشلوا كذلك بأهمية البحث الاركيولوجي والاثنوغرافي للقرن العشرين الذي يلقي ضـوءا باعتماده على مدلولات جديـدة تختص بتـاريخ الحضارات المنفردة وكذلك تطـور الحضارة نفسـها » •

وبعد ذلك يقول :

« انهـم أعاروا اهتماما قليـلا الى العالم الجديد الذي أنجز مدنيـة كبرى بينما نراهم يهتمون بالشرق الادنى ، شـمال البحر الابيض المتوسط وشمالي اوربا فقط ، وأكثر من هـذا ، انهم فشلوا أيضا في تمييز التغيـرات المتعـددة للاتجاهات المحليـة وذلك بسبب انهـم اعتمدوا بشكل أوسع على تطورات ظهرت أولا في مصر وبلاد ما بين النهرين وبالتالي في اليونان ، روما وفي شمالي أوربا • »

مصادر البحث

1 - Leslie A. White: (The Science of Culture).
2 - Marshal Sahlins: (Evolution and Culture).
3 - V. Gordon Childe: (Social Evolution).
4 - Stewart Julian: (Irrigation - Civilization).
5 - Stewart Julian: (Anthropology to - day).
6 - Melville. Herskovits: (Cultural Anthropology).